الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم
كلية الأدب العربي والفنون
قسم الأدب العربي

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر

تخصص : أدب مقارن و عالمي

أثر الرمزية الغربية في الشعر العربي

إعداد الطالبة :
قوميدي سارة

إشراف الأستاذة
مسعودي فاطمة الزهراء

السنة الجامعية : 2021 م- 2022م

دعـــاء :

اللَّهـــم

إني أسألك تيسيرً ا في طريقي

و راحةً في نفسي

و تيسيرً ا في أمري

ربي أعوذ بك من شَتَ ات الأمر

و مسّ الضُّر و ضيق الصدر

اللَّـهم آمين.

...

شكر وتقدير

في البداية نشكر الله عز وجل الذي وفقنا لإتمام هذا العمل المتواضع كما نتوجه بالشكر الجزيل إلى كل من ساعدنا في إنجاز هذا البحث سواء من قريب أو من بعيد ، كما يشرفنا أن نتقدم بأسمى عبارات الشكر و التقدير إلى أستاذتي الكريمة المشرفة

" مسعودي فاطمة الزهراء "

التي لم تبخل علينا بمعرفتها .

كمالا يفوتنا أن نتقدم بالشكر إلى جميع الأساتذة والذين رافقونا طيلة مشوار نا الجامعي وأمدونا بالعلم الوافر وكل من مد لنا يد العون من قريب أو من بعيد

وفقهم الله لما فيه الخير والصلاح. وجعلنا لهم خير خلف لخير سلف

إهداء

الحمد لله و كفىٰ و الصلاة على الحبيبالمصطفى و أهله و من وفىٰ أما بعد :

إلى صاحب السيرة العطرة، و الفكر المستنيرفلقد كان له الفضل الأوّل في بلوغي التعليم العالي والدي الغالي " **قوميدي الطيب** "، أطال الله في عمره .

إلى من سهرت الليالي من أجل أن أكون ذخرا، وشملتني بدعائها في كل وقت و حين والدتي الحبيبة " **منادي عائشة .**"

إلى كل من منحوني المحبة الأخوية الخالصة و الصادقة أخواني و أخواتي :

" **سمرة ، رضوان ، حفصة ، محمد ، آدم ، جواد .**" إلى رفيقات المشوار اللاتي قاسمنني لحظاته رعاهم الله و وفقهم " **حياة ، نور الهدى.**"

إلى كل من ساندني بموقف أصيل أو كلمة مساندة أو دعاء في ظهر الغيب بنية خالصة أهدي ثمرة هذا الجهد المتواضع.

المـــقدمـــة

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم و الصلاة و السلام على أشرف المرسلين و خاتم النبيين و رسول رب العالمين أما بعد :

عرفت القصيدة العربية عدّة تطورات و تغيرات عبر العصور و ذلك من العصر الجاهلي إلى العصر الحديث و هذا راجع إلى طبيعة البيئة التي كان يعيش فيها الشاعر آنذاك، كما نجد أن القصيدة العربية ظهرت بحلة جديدة في العصر الحديث و هذا بسبب ظهور بعض المذاهب الأدبية المختلفة التي تدعو إلى التجديد و التغيير لإعطاء القصيدة طابعًا ثريًّا و جعلها في أسلوب راقي و جذاب.

استعمل الأدباء الشعر كوسيلة للتعبير و البوح بما يجيش في صدورهم و الكشف عن أحاسيسهم و عواطفهم، و هذا ما جعلهم يكتشفون لغةً جديدةً غير اللّغة العادية المتداولة بين الأفراد من أجل التواصل بل ابتدعوا لغة خاصة بهم من أجل إخراج ما في داخلهم بطريقة غير مباشرة، حيث كان الرمز تلك البوابة العابرة التي استطاعت أن تخرج اللّغة من قوقعتها العادية إلى ساحة الإرتقاء و من هنا نجد أن الرمز الفني واحد من أهم الوسائل التي ابتدعها الشعراء لتطوير تلك اللّغة الخاصة بهم و إعطاء القصيدة قالبًا فنيًّا جميلاً .

و لقد اعتُبر الرمز عنصرًا هامًا في الشعر و صفة من صفات الإبداع الشعري فقد أولى الشعراء له إهتمامًا كبيرًا بعد أن وجدوا في الرمز أداة و وسيلة تعبيرية ملائمة و تمكنهم من التعبير عن ذاتهم و عن تجربتهم الشعرية، و بفضل الرمز منح الشعراء اللّغة الشعريّة دلالات و إيحاءات رمزية التي تجعل من أعمالهم

الأدبية تحمل أبعاداً فنية و جمالية راقية. تجذب انتباه القارىء و تجعله يستعمل ملكاته من أجل التفسير و فهم قصد الشاعر.

و الرمز معناه الإيحاء أي التعبير غير المباشر عن النواحي النفسية المستترة التي لا تقوى اللّغة على أدائها في دلالتها الوضعية بحيث تتولد المشاعر عن طريق الآثار النفسية لا عن طريق التسمية و التصريح.

و استناداً على هذا وقع اختياري على دراسة هذا الموضوع الموسوم بـ : **"أثر الرمزية الغربية في الشعر العربي"** و ذلك من أجل تبيان بعض مفاهيم الرمز المتعددة

و ذكر كيف أثر هذا الأخير على أدبائنا و شعرائنا العرب وهذا ما جعلني أختار الشاعر التونسي **"أبو القاسم الشابي"** الذي استعمل الكثير من الحيل الأسلوبية في ديوانه **"أغاني الحياة"** و لا سيما ما تعلق بالرمز الذي انعكس في نفس القارىء.

و لا يخلو البحث من الصعوبات، و لعل أهم صعوبة بالنسبة لي هي ضيق الفترة المعطاة لإنجاز هذا البحث.

و قد اتبعت في بحثي هذا على الخطة التالية :

"مقدمة، تمهيد، فصلين و كل فصل يحتوي على ثلاث مباحث، خاتمة، و ملخص شامل للبحث، و قائمة المصادر و المراجع التي اعتمدت عليها، الفهرس". بحيث اعتمدت على المنهج الوصفي التحليلي و ذلك بتفسير و تحليل بعض الرموز التي استعملها شاعرنا في قصائده المختلفة و ما تحمله من دلالة و إيحاء.

"و أسأل الله التوفيق و السداد، و ما توفيقي إلاّ بالله".

الفصل الأول

الفصل الأول: الرمزية الغربية

مفهوم الرمز : لغة و إصطلاحا.

أنواع الرمز.

خصائص و سيمات الرمز.

تمهيد:

يعد الأدب أداة و وسيلة للتعبير عن حـــالات مختلفـــة متغيـــرة، نفسيـــة و إجتماعية بحيث تغيرها يؤدي إلى تغير المذهب الأدبي الذي يعد القالب الذي يحويها، و هو مجموعةمن الخصائص التي يتنور بها الأدب في صياغتها ليخرج بها فنًا جميلاً، و قد تعددت هذه المذاهب اتباعا

و كان لنشأة كل مذهب دوافع و أسباب، و أوّل هذه المذاهب الكلاسيكي ثم الرومانسية و بعدها الواقعية و أخيرًا **الرمزية** التي أخذت **الرمز**أساسًا لديها و إعتمدت عليه في إنتاجها الفني.

المدرسة الرمزية **Symbolism** جاءت كرد فعل للمدرستين الواقعية المادية و الرومانسية، حيث ظهرت في أوروبا خاصة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر19و تحديدًا "سنة 1870" على يدي الشاعرين الفرنسيين **ستيفان مالارميه Stephane Mallarmé** و **بول فرلين Paul Varlaine** اللّذان خرجا عن المذهب البرناسي **Parnasse** .

و كانت الرمزية رافضة للرومانسية لإنجرافها عن الإنسياب التلقائي للأديب و البرناسية في تشكيلتها الضيقة و الواقعية في رصدها التبجيلي و الفوتوغرافي للواقع.

المذهب الرمزي هو مذهب فني و أدبي في الشعر و سائر الفنون، أصولها الفنية تمتد إلى " أفلاطون " في مثالية أفلاطونية المعروفة التي كان يرى من خلالها حقائق العالم المادية مجرد رموز للحقيقة البعيدة.

و تعتبر اللغة رموزا للعالم الداخلي و العالم النفسي وتتجلى وظيفتها في إبداع صورة ذهنية توجد مرجعيتها في العالم الخارجي وتتحول إلى أداة للإيحاء الذي يحتاج الى تأويل فني يرفض النقل المباشر التقريري.

ومن سمات الرمزية :

*الإكتفاء بالتلميح إلى الأشياء التي توحي و غير دالة على المعاني بطريقة مباشرة بحيث تتجنب الخطابية و المباشرة و التفصيلات .

*الاعتماد على الرمز في التعبير عن الأفكار و العواطف و الرؤى إلى الدلالة عن طريق النشاط الذهني للمتلقي الذي يصل إلى ما يوحي به الرمز عن طريق التأويل .

*استعمال لغة شاعرية بحيث أنهم أعلنوا بأن اللّغة العادية أصبحت عاجزة عن ما يجيش بداخلهم من أحاسيس و أفكار فلجؤوا إلى اللّغة الشاعرية ذات إيقاع موسيقي.

*استخدام الإيحاء و المفردات الغامضة التي يصعب على القارىء كشفها مباشرة إلا خلال التمعن فيها .

*الابتعاد عن الأسلوب الواضح و المنطقي و الإكتفاء بالتلميح .

*تعتمد على التكثيف و شدة الإيحاء .

*الغموض و الضبابية في التعبير .

*الإيغال في الخيال التي يقصد به الإكثار في الخيال و الإفراط فيه.

*استعمال الصيغة و هي ميزة من ميزتهم لأنهم يحاولون توظيف ثقافتهم و أن يطوعوا القصيدة أو النص الإبداعي حسب مايريدونه بالرموز المختلفة .

*رفض المحاكاة للواقع .

و نجد أيضا أن للرمز عدة أنواع مختلفة اكتسبت أو اكتشفت من خلال مفاهيم المتعددة و هو كالتالي:

الرمز الديني الذي يتمثل في توظيف شخصيات أو أماكن أو أحداث دينية للتعبير عن مواقف محددة، و نجد أيضا الرمز التاريخي و يقصد به اتخاذ أحداث تاريخية رمزا قادرة على الإيحاء بما يريد الأديب التعبير عنه، و إضافة إلى الرمز الصوفي الذي يقصد به العقيدة الصوفية التي ترتكز على فكرة وحدة الوجود.

و من هذا المنطلق سنتطرق في هذه الدراسة على مفهوم الرمز بمفهومه اللغوي و الإصطلاحي و مايحمله من دلالات إيحائية و أنواعه المختلفة التي اختلف فيها الباحثون في تقسيمها و كذلك سنجد خصائص الرمز و سيماته التي تم استنباطها من خلال المفاهيم المتعددة له و التي لم تجعله مجرد إشارة أو علامة فقط بل أصبح له دلالة و إيحاءات معبرة.

مفهوم الرمز:

لغة:

ورد في لسان العرب لابن منظور، في مادة الرمز" الرمز معناه تصويت خفي باللسان كالهمس، و يكون تحريك الشفتين بكلام غير مفهوم باللفظ من غير إبانة بصوت و إنما هو إشارة و إيماء بالعينين و الحاجبين و الشفتين و الفم، و الرمز في اللغة كما أشرت إليه مما يبان بلفظ بأي شيء أشرت إليه بيد أو عين..."[1].

و جاء في القرآن الكريم قصة سيدنا زكرياء عليه السلام، قوله تعالى : **{ قَالَ ايَـةُ قَالَ عِرَايَتُكَ أَلاّ تُكَلمَ أَلنَّاسَ ثَلاثَة أَيَام إلاَ رَمْزًا وَ اذكُرْ رَبكَ كَثيرًا وَ سَبحْ بالعَشي وَ الإبْكَار}[2].**

أي إشارة بنحو يد أو رأس، فما ورد في تأويل الرمز في هذه الآية الكريمة، أن زكرياء-عليه السلام-عوقب حين سأل الله عزّ و جل آية؛ أي علامة على أن هذه البشارة ب"يحيى" إنما هي علامة فعلا بشارة من الله، على الرغم من مشافهة الملائكة إياه بذلك، فعوقب" فأخذنا عليه بلسانه، فجعل لا يقدر على الكلام إلا ما أومأ أو أشار"[3].

فمفاهيم الرمز لغويا ترادف الإشارة و ترادف الإيحاء أيضا.

---

[1]-ابن منظور،لسان العرب المجلد الثالث، دار المصادر، بيروت،1997،ص،119.

[2]-سورة آل عمران الآية {41}.

[3]-محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن، سورة آل عمران الآية 41 ، جامع المعاجم، شركة عريس للكمبيوتر.

الرمز، و يضم و يحرك: الإشارة، أو الإيماء بالشفتين أو العينين أو الحاجبين أو الفم أو اليد أو اللسان ، يرمز و يرمز[1].

و رمازة: مالت لمن يستميلها [2].

ورد هذا الرمز في الشعر العربي القديم بالدلالة نفسها، يقول الشاعر:

"رمزت إلي مخافة من بعلها من غير أن تبدي هناك كلاما"[3].

و الرمز يقابله المصطلح الأجنبي الفرنسي: **(symbole)**، و الإنجليزي **(symbol)**، وأصلهما واحد في اللغة اليونانية، حيث تشير

كلمة: **(sumbolein)** إلى : الحرز و التقدير، و هي مكونة من مقطعين **(sum)** و تعني "مع"، و **(bolein)** تعني: "حرز".

اصطلاحا:

لقد تعددت مفاهيم الرمز و اختلفت عند الدارسين، و منهم من يعرف الرمز على أنه:" لحظة انتقالية من الواقع إلى صورته المجردة، و هو الإطار الفني الذي يتم فيه الخروج من الإنفعال المباشر إلى محاولة عقلنته و هو تجسيم للإنفعال في قالب جمالي"[4].

[1]-الفيروز أبادي، القاموس المحيط، ج2،دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1999، ص 284.

[2]-الأزهري ابي منصور محمد بن أحمد، تهذيب اللغة، ج13، الدار المصرية للتأليف و الترجمة، مصر، د ت،ص 206.

[3]-كعوان محمد ،تأويل و خطاب الرمز، دار بهاء الدين، الجزائر، ط1،2009، ص21.

[4]- رماني إبراهيم، أوراق في النقد الأدبي، دار الشهاب، باتنة، ط1،1965،ص 167.

الرمز هو" صلة بين الذات و الأشياء، بحيث تتولد المشاعر عن طريق الإثار ة النفسية، لا عن طريق التسيمة و التصريح "[1].

يحدد " وبستر " الرمز" بأنه ما يفي أو ما يؤدي إلى شيء عن طريق علاقة بينهما كمجرد الإقتران، أو الاصطلاح، أو التشابه العارض غير المقصود " [2] .

"وما يعنيه " وبستر " هنا أن ينبني الرمز على علاقة باطنية وثيقة تربطه بالرمز و هي عنده علاقة أعمق من مجرد التداعي، أو الإصطلاح، أو التشابه الظاهري "[3].

أما " أرسطو " **Aristote** " يعتبر الكلمات رموزا لمعاني الأشياء؛ أي لمفهوم الأشياء الحسية أولا، ثم التجر يدية المتعلقة بمرتبة الحس ثانيا، فهي عند أرسطو مجرد إشارات بإعتباره إشارة مطلقة "[4].

و يذهب " فرويد " **Freud** في المفهوم النفسي للرمز إلى " أنه نتاج الخيال اللاشعوري و أولي يشبه صور التراث و الأساطير"[5].

" و مدرسة التحليل النفسي التي يتزعمها تؤكد على أهمية الرمز في الأحلام و العقد النفسية "[6].

و يعرفه - كارل يونغ - **Carl Gustav Jung** على نحو جيد، يقارب تعريف الرمز الأدبي مفرقا إياه عن الإشارة **(sign)** التي تعبر عن شيء معلوم

[1] -كحوال محفوظ، المذاهب الأدبية، نوميديا للطباعة و النشر و التوزيع، قسنطينة،(د.ط)،(د.ت)،ص 159.

[2] -كعوان محمد،التأويل وخطاب الرمز،ص 29.

[3] -محمد فتوح أحمد، الرمز و الرمزية في الشعر العربي المعاصر، دار المعارف،مصر، ط3، 1984،ص351.

[4] -المرجع نفسه، ص260.

[5] -رماني ابراهيم، الغموض في الشعر العربي الحديث، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،(د.ط)، (د.ت)، ص 273.

[6] -بن يحي عباس، مسار الشعر العربي الحديث و المعاصر، دار الهدى، عين مليلة، (د.ط)،(د.ت)، ص 105.

محدد في وضوح، بخلاف الرمز الذي هو: "أفضل طريقة للإفضاء بما لا يمكن التعبير عنه، و هو معين لا ينضب للإيحاء، بل التناقص كذلك"[1].

و الرمز بصفته ركنا من أركان الثلاثية (رمز- إشارة- إيقونة) التي طرحها شارل ساندرز بيرس **Charles Sandors Paires** في تصوره للعلامة، فهو علامة"تدل على موضوعها المجرد الواضح دون أن تكون هناك علاقة شبه أو مجاورة كما هي مع تسميته الإيقونة و الشاهد" [2] .

أي أنه يتحدد بعلاقات التواضعو الإتفاق، و هذا عن موقع الر مز من الثلاثية.

ويقول الدكتور مصطفى ناصف في تعريفه للرمز إنّ َ كلمة الرمز قد تستعمل للدلالة على "المثال"، كأن يعبر فرد عن طبقة ينتمي إليها، وقد يراد بها إنابة القليل عن الكثير أو الجزء عن الكل، فالكلمة تختلط آنا بمعنى الإشارة التي يحال فيها على شيء محدد، ومن ثم يتبادر إلى الذهن أن الرمز ما ينوب و يوحي بشيء آخر لعلاقة بينهما من قرابة أو اقتران أو مشابهة" [3] .

فالرمز عند " تودروف " **Todorov** :"يشير إلى كل أنواع المجاز حيث يكون للكلمة بالإضافة إلى المعنى الأعجمي معنى آخر"[4].

أمّ َ ا السكاكي فقد صنف الرمز من أنواع الكناية؛ معتبرا أن الكناية تتنوع

[1]-رماني ابراهيم،المرجع السابق، ص 173.

[2]-نسيمة بوصلاح، تجلي الرمز في الشعر الجزائري المعاصر،ص 70-71.

[3]-مصطفى ناصف، الصورة الأدبية، دار الأندلس للطباعة و النشر، بيروت، لبنان، ط3، 1983، ص152.

[4]-الولي محمد، الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي و النقدي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1990، ص 192.

إلى تعريض و تلويح و رمز و إيماء و إشار ة "[1].

ويرى " أدونيس " **Adonis** الرمز : "بأنه اللّغة التي تبدأ حين تنتهي لغة القصيدة أو هو القصيدة التي تتكون في وعيك بعد قراءة القصيدة، إنه البرق الذي يتيح للوعي الذي يستكشف عالما لا حدود له، لذلك هو إضاءة للوجود المعتم، و إندفاع صوب الجوهر"[2].

و يعرف " تندال " الرمز الأدبي كذلك بأنه "تناظر مع شيء غير مذكور، يتألف من عناصر لفظية يتجاوز معناها الحدود الحرفية، ليتجسد و يعطي مركبا من المشاعر و الأفكار"[3].

هناك إذن ترابطات أي علاقات معينة بين الرموز و ما يرمز إليه يستند إليها الرمز حتى يؤدي عمله.

أنواع الرمز:

لقد اختلف الباحثون في تقسيم أنواع الرمز و مستوياته، أن ماهية الرمز لا تعترف بالفوارق بين مصطلحاته مادام يؤدي وظيفته في العمل الأدبي و من هنا يمكننا أن نميز:

[1]-محمد يعيش، شعرية الخطاب الصوفي"الرمز الخمري عند ابن الفارض نموذجا"، منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية، سايس فاس، (د ط)،2003،ص 123.

[2]-مصطفى السعدني، البنيات الأسلوبية في لغة الشعر العربي الحديث، مطابع رواى، الاسكندرية،(د ط)،(د ت)،ص 71.

[3]-د.هاني نصر الله، البروج الرمزية، دراسة في رموز السياب الشخصية و الخاصة، عالم الكتب الحديث للنشر و التوزيع، ط1، 2006، ص11.

❖ **الرمز التاريخي:**

الرمز التاريخي " هو لجوء الشعراء و الكتاب إلى الغوص في التاريخ كي يستقوا منه و يستمدوا من شخصياته و أحداثه ثم توظيفها و استخدامها في كتاباتهم للتعبير عن مواقفهم المتباينة و الخفية و غير المباشرة. و قد يلجأ الأديب إلى اتخاذ الشخصيات التاريخية كأقنعة معينة ليعبر بواسطتها أو من ورائها عن الموقف أو بالأحرى مواقف يريدها أو من أجل محاكاة نقائص العصر الحديث من خلالها "[1].

كما قد يلجأ الأديب في بعض الأحيان إلى خلق بعض الشخصيات التي لم يكن لها وجود حقيقي في التاريخ، و لعل أهم هذه الشخصيات شخصية "مهيار" التي خلقها أودونيس جاعلا منها قناعا للكثير من القضايا الفكرية و السياسية و الإجتماعية في حياتنا المعاصرة.

" الأحداث التاريخية و الشخصيات التاريخية ليست مجرد ظواهر كونية عابرة تنتهي بانتهاء وجودها الواقعي فإن لها إلى جانب دلالتها الشمولية الباقية و القابلة للتجدد – على امتداد التاريخ – في صيغ و أشكال أخرى"[2].

❖ **الرمز الأسطوري:**

[1]-انظر: محمد احمد فتوح، مرجع سابق، ص 1201

[2]-علي عشري زايد، استدعاء الشخصيات التاريخية التراثية في الشعر العربي المعاصر، دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع، القاهرة،2006، ص120.

إن هذا النوع من الرمز أكثر الرموز حضورا في الأعمال الأدبية، كما أنه حظي بعناية بالغة من طرف العديد من الأدباء، و وظفوه في أعمالهم، بإعتبار أن الأسطورة قديمة قدم الإنسانية في التاريخ، بحيث أخذت حيزا مكانيا و زمانيا كبيرين " و يعني به إتخاذ الأسطورة قالبا رمزيا يمكن فيه رد الشخصيات و الأحداث و المواقف الوهمية إلى شخصات و أحداث و مواقف عصرية و الإكتفاء بدلالة الموقف الاساسي فيها بغية الإيحاء بموقف معاصر يماثله "[1].

" يعد الرمز الأسطوري الأكثر شيوعا في الأدب العربي الحديث و المعاصر إذ يحيل على دلالات متنوعة، اقتبسها الشاعر من منابع كثيرة فبعضها من الحضارة اليونانية و بعضها من الحضارة البابلية، و أخرى من التراث العربي القديم، فنجد في شعرنا العربي توظيف ل"سيزيف" و "أدونيس" و"عشتار" و" السندباد" و "تموز" و "شهريار" [2].

كما أن " الرمز الأسطوري نابع من الحدس الذي يلوذ اللحظة الحاضرة و يستقر في التجربة المباشرة، مقتصرا من خلالها انطباعا كليا مشوبا بالانفعال "[3].

❖ **الرمز الديني:**

إن الإنسان خلق في هذه الدنيا من أجل العبادة و ذلك مصدقا قوله تعالى **"وَمَا خَلَقْتُ الْإِنْسَ وَالْجِنَّ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ "[1] .**

[1]- عمر الدقاق و آخرون، تطور الشعر الحديث و المعاصر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، د ط، د ت، ص 245.

[2]-ينظر : السحمدي بركاتي، الرمز التاريخي و دلالته في الشعر عز الدين ميهوبي، (اشراف)، معمر حجيج، 2009، جامعة العقيد الحاج لخضر، باتنة، (مخطوط رسالة ماجستير)، ص 31.

[3]-عاطف جودة نصر، الرمز الشعري عند الصوفية، ص27.

فالدين هو دستور الحياة وهو الذي ينظم سير الأفراد و المجتمعات، و شعرائنا المعاصرون إعتمدوا عليه كمصدر قوي حيث " كان التراث الديني في كل الصور ولدى كل الأمم مصدرا سخيا من مصادر إلهام الشاعر، حيث يستمد منه الشعراء نماذج و موضوعات و صورا أدبية "[2].

و" قد أخذت شخصية محمد - صلى الله عليه و سلم - دلالات متنوعة كثيرة في قصائد شعرائنا، و أكثر الدلالات شيوعا هي استخدامها رمزا شاملا للإنسان العربي سواء في انتصاره أو في عذابه "[3].

و أكثر الرموز إستعمالا عند الشعراء توظيف إبراهيم - عليه السلام - رمزا للكرم و التضحية، وعمر ابن الخطاب - رضي الله عنه - رمزا للعدل، و أيوب - عليه السلام - رمزا للصبر، و قابيل رمزا للقتل، وعيسى - عليه السلام - رمزا للبعث و الإحياء، وكان رمز عيسى - عليه السلام – أكثر الرموز شيوعا و استعمالا.

عرف **ناصر لوحيشي** الرمز الديني قائلا: " نعني به كل رمز من القرآن الكريم أو في الكتاب المقدس بعهديه القديم و الجديد "[4].

فالأديب لا يهتم بتوظيف الرموز الموجودة في القرآن الكريم من أجل التوظيف فقط، أو إعادة استرجاعها، بل من أجل إعطائها بعدا آخر يمكن أن يحمل بذلك معان كثيرة غير المعنى الظاهر

فالتراث الديني كان معين عبر العصور، حيث ساهم في تطور الفكر الإنساني

---

[1]- سورة الذاريات، الآية {56}.

[2]- علي عشري زايد، استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، دار الفكر العربي، القاهرة، ص 75.

[3]- المرجع نفسه، ص 78.

[4]- جوهر عبادة و سعاد برشوي، دلالة الرمز في رواية حائط المبكي لعز الدين جلاوجي، ص 18.

و ساعد الكثير من الأدباء في توسيع و إنتاج أعمالهم الأدبية، سواء من خلال توظيف الرموز الإسلامية أو المسيحية.

❖ **الرمز الصوفي :**

الرمز الصوفي هو " الرمز الذي استخدمه أقطاب الصوفية في أشعارهم للتعبير عن عوالمهم الخاصة حتى أشتهر بينهم ثم انتشر، و أصبح معروفا لدى أهل التصوف بالمصطلحات الصوفية "[1].

و يبين لنا **الطوسي** أيضا معنى الرمز الصوفي قائلا:" الرمز معنى باطن مخزون تحت كلام ظاهر، لا يظفر إلا أهله " [2].

أي أن الأديب الصوفي في عمله الفني يوظف الرمز بمعنى معين لإبراز و الكشف عن معنى آخر غير المعنى الظاهر، و هذا المعنى الخفي لا يصل إليهلإ فئة قليلة، فليس كل من يقرأ له القدر ة على فهم المعنى المقصود بسهولة إذ لابد من التدقيق في ذلك، وهذا لا يكون إلا عند المتمرسين من القراء أو الأدباء أنفسهم.

إن الرمز الذي عبر من خلاله الصوفية عن معانيهم و أذواقهم و مواجيدهم: "لم يجر ي علاقة قاعدة واحدة سار عليها جميع الصوفية، و إنما اختلف باختلاف

[1]- أمينة التجاري، جماليات الرمز الصوفي الجزائري،"خمرية أبي مدين شعيب نموذجا"، مطبعة مزوار، الوادي، ط1، 2003، ص 17.

[2]- السراج الطوسي، اللمع في التصوف، تح:عبد الحليم محمود و طه عبد الباقي سرور، دار الكتب الحديثة، مصر،(د ط)، 1960، ص 414.

الموضوعات التي تناولوها و إلى اختلاف الطبيعة بين صوفي و آخر فإن نوع الرمزية التي يفضلها الصوفي تتوقف على خلقه و جبلته"[1].

كما يمكن القول أن الرمز الصوفي قد ظلل كثيرا من الباحثين و المحدثين في حقل الدراسات الصوفية، فتعرض هؤلاء الباحثون إلى الخطأ في الحكم على العبارات الصوفية، ومن هذا لزم أن يكون هناك نوع من العلاقة بين الباحث و بين المعاني الصوفية الدقيقة، لذلك ينبغي على الناظر إلى العبارات الصوفية أن يلزم التأني مراعيا لكل حرف مغزى و لكل عبارة إشارة.

و للرمز الصوفي أنواع كثيرة متعددة و من أشهرها: رمز المرأة، و رمز الخمرة و رموز مستمدة من الطبيعة :" كرمز الماء، و الطير و النور و الفراش و الرحلة و الموت و المعراج "، و غيرهم من الرموز الأخرى.

خصائص الرمز:

هناك العديد من السمات التي يختص بها الرمز و التي يمكن أن نستمدها من التعريفات المختلفة للرمز من ذلك:

الإيحائية:

هي " سمة أساسية في الرمز، إذ تحمل دلالات متعددة بها، تكون التجربة الجمالية "و تعني أن للرمز الفني دلالات متعددة ولا يجوز أن يكون له دلالة واحدة فحسب، و إن يكن هذا لا يمنع من أن تتصدار إحدى الدلالات، فالإيحاء

[1]- عبد الحكيم حسان، التصوف في الشعر العربي نشأته و تطوره، مكتبة الأدباء، القاهرة، د ط، د ت، ص 88.

الجمالي هو إيحاء مكثف ممتلىء بموضوعه، يؤدي وظيفة يعجز عنها التأويل المباشر للتجربة أو الظواهر و الأشياء "[1].

و يذهب الدكتور **محمد غنيمي** هلال إلى "**أن تسمية المذهب بالرمز خطأ فادح فالأصح تسميته بالإيحائي**"[2]، لأنه يقوم على العبارات المكثفة ذات الإشعاع الدلالي، و التي توحي بما يختزن صدر الشاعر من أحاسيس و أفكار و مشاعرة.

الغموض:

اتصفت بعض التجارب الرمزية بالغموض، وهم يحسبون أن الغموض ليس أمرا طارئا على الشعر، بل أنه أمر لازم لطبيعته، لأن النفس غامضة و التجربة غامضة، فكيف يفسر عنها بالوضوح دون أن تندثرو تنحدر و تتعفى

" و الغموض ليس الإبهام المتعمد بل أنه تلك الغلالة الشفلفة التي تتراءى الأشياء من قلبها أو أنها مثل مياه الغدير عميقة و جلية "[3].

" فالشعر الرمزي بالضرورة يكتنفه شيء من الغموض في تكوينه "[4].

و يرى **مالارميه :"أن الشعر يجب أن يكون صعبا حتى يسترد اعتباره و حمايته من الإعجاب السهل السطحي".** و يقول **فيرلين:" المعاني الخفية كالعينين الجميلتين تلمعان من وراء النقاب"[5].**

[1] - محمد كعوان، التأويل و خطاب الرمز قراءة في الخطاب الشعري الصوفي العربي المعاصر، ص 38.

[2] - عبد الرحمان القعود، الإبهام في شعر الحداثة، عالم المعرفة، العدد 279، الكويت، 2002، ص 1101.

[3] - إيليا الحاوي، في النقد و الأدب، ط2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1986، ص 64.

[4] - تشارلز تشادويك، الرمزية، ترجمة نسيم إبراهيم يوسف، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1992، ص 41.

[5] عبد الرحمان العقود، الإبهام في شعر الحداثة، عالم المعرفة، الكويت، ص 104.

و يقول **بودلير:" إن الشعر خلق من الجمال في جو من الحلم، ومثل تعطشه إلى اللانهائي و اللامحدود، و الإندفاع إلى الجمال الغيبي المجهول، ومثل إيمانه بأن الإبهام عنصر الشعر الأساسي، مثلما هو عنصر الموسيقى الأول ذلك لأن الإيضاح و البوح بكامل الأشياء يعريها، ولهذا يدعو الشاعر إلى نفي الوضوح و خلق جو ضبابي فيه كل عجيب مبهم" [1].**

الإنفعالية:

وهي تعني أن الرمز هو حامل انفعال، لا حامل مقولة، لأن وظيفة الرمز ليست نقل أبعاد الأشياء و هيئاتها كاملة للمتلقي، ولكن وظيفته أن يوقع في نفسك ما وقع في نفس الشاعر من إحساسات، وهو بذلك يختلف عن الرموز الدينية و المنطقية، و العلمية و العملية التي هي مقولات و مفاهيم لا انفعالية. ومن البديهي أن هذه السمة من طبيعة التجربة الجمالية، التي هي طبيعة انفعالية بالضرورة، " ولهذا فإن الرمز الفني لا يلخص فكرة أو يعبر عن رأي أو يطرح موقفا فكريا، وا إنما يكثف انفعالا، ويعبر عن تجربة "[2].

الموسيقى:

الرمزيون جعلوا الموسيقى هي المثال الأعلى حيث:" الموسيقى هي الفن الذي يعبر بالأنغام الموحية و الحالة في النفس، و ليس عبر الألفاظ و المعاني و الأفكار الصادرة عن الوعي، الموسيقى هي الذروة لأنها تعبر باللاوضوح"[3].

---

[1]- المرجع نفسه، ص 102.

[2]- كعوان محمد، التأويل و خطاب الرمز، ص 38.

[3]- إيليا الحاوي، في النقد و الأدب، ط2، دار الكاتب اللبناني، بيروت،1986،ص 64.ت،1986،ص 64.

" فالرمزية تقوم على التنقيب للإيقاع الجمالي، فيلزم الشاعر أن يجهد نفسه ليوفر الطاقات الموسيقية التي ترمي إلى الإيحاء و التلميح و تنبعث من جرس الأصوات، و نبرها و انسجامها في دلائل متماوجة تتجلى في التراكيب مع جودة النسج بين الفكرة و الموسيقى، و تألف الشعور مع الإيقاع الذي يصدر نبضات الإحساس، و قوة التجربة الذاتية "[1].

[1]- مسعد بن عيد العطوي، الرمز في الشعر السعودي، ط1، مكتبة التوبة، الرياض، ص75.

الفصل الثاني

الفصل الثاني: تأثر العرب بالرمزية الغربية

نبذة عن حياة الشاعر.

أغراضه و ديوانه.

توظيف الرمز عند أبي القاسم الشابي.

تمهيد:

إن مفهوم الرمز في الأدب هو بمثابة إشارة من الشاعر أو الأديب يتخفى خلفها بعض الأمور التي لا يريد المؤلف أو الشاعر أن تصل بشكل مباشر إنما ببحث و جهد ذهني، فالرمز غالبا ما كان قناع المبدع الذي به استطاع أن يتجاوز المواضيع و يوظفها .

الرمز في الأدب هو الإيحاء، أي التعبير غير المباشر عن النواحي النفسية المبهة، أما الرمزية هي أن توحي بأفكار أو عواطف باستعمال كلمات خاصة في نظام دقيق لنقل المعنى بتأثير خفي أو غامض، بحيث ينطلق المعنى بأفاق واسعة جدا فالرمزية هي التعبير عن الأفكار و العواطف و ما يجيش في نفس الأديب أو الشاعر.

وبمفهوم الرمز في الأدب هو اتجاه نفسي من وجدان الكاتب استخدمه لأسباب مهمة و أبرز هذه الأسباب أن ثمة قضية لا يستطيع البوح بها، فهو حريص على اخفائها خلف ذلك القناع الذي استعمله بواسطة الرموز، بحيث أضاف الرمز لونا جميلا للتعبير في الأدب.

فالشعر صورة الوجدان، و مرآة عاكسة للنفس، و ترجمان الشعور، و الرمز الفني واحد من أهم الوسائل التي إبتدعها الشعراء لتطور اللغة أولا، و لمحاولة القبض على تلك النغمة الروحية الكامنة داخل الوجدان البشري ثانيا.

و من هنا عده بعض الأدباء البوابة التي تدخل منها اللغة إلى ساحة الحلم الأثيرية، حيث يتجلى عمق الحياة. فيرى الشاعر مالا يراه الآخرون ولا يستطيع

تجسيده، إلا عبر الرموز و أنواعها، و من خلاله تستطيع اللغة نقل التجربة الشعور ية و اجتياز عالم الوعي، إلى عالم اللاوعي، فتلد و توحي و يتناثر لؤلؤها و وميضها في معان تتساقط على ذهن القارىء كالمطر.

و **أبو القاسم الشابي** الملقب بشاعر الخضراء، استعمل في دوانه **أغاني الحياة** الكثير من الحيل الأسلوبية و منها **الرمز** هذا الأسلوب الخاص الذي يبنيه الشاعر بالكلمات و الصور الشعرية الغامضة، التي تدعو القارىء إلى إعمال فكره، و جمع ملكاته للوصول إلى مقصد الشاعر و ما يوحيه من دلالات متنوعة.

كان الشابي من الشعراء الذين تغنوا بالمستقبل و آمنوا بالتجديد، و رفضوا الجمود و التقليد و سكبوا ذاتهم في واقعهم الإجتماعين فتغنى بالحياة و الفن و الوطن و الطبيعة و الثورة و غرادة الحياة.

و في هذه الدراسة سلط الضوء فيها على ظاهرة توظيف الرمز في شعر أبو القاسم الشابي، بالوقوف على أنواعه، و معرفة القدرة الإيحائية لبعض الرموز في مدونته.

وهذا كله بالاعتماد على المنهج الوصفي التحليلي. و قد تبين أن الرمز من أهم الظواهر الفنية التعبيرية في القصيدة الحديثة، لما يظطلع عليه من مهمة تكثيفية إيحائية، تولد دلالات متعددة في النص، كما أن له قيمة تكمن في مدى إضفائه على التجربة حركة نفسية، و مدى تآزره مع الانفعال، و لعل ما نسجله

من خصوصية دور الرمز في بناء القصيدة هم مدى قدرة الشاعر أبي القاسم الشابي على تشكيله من خلال مصادر ه المختلفة : الطبيعة، الوطن، الأسطورة المرأة ... ما ينم على وعي بالتعامل مع الرمز و الأسطورة .

كان أبي القاسم الشابي شاعرا وجدانيا عميق الأحساس، نادى بتحرير الشعر العربي من صورته النمطية القديمة، و الانفتاح على الفكر و الخيال و أشكال التعبير الجديد.

و هو صاحب البيت الشهير :" **إذا الشعب يوما أراد الحياة**

فلابد أن يستجيب القدر".

و إلى ذلك جعل الشابي من حروف الروي صوتا يشيع ألم الشعب و تأوهه فتصدر عنه أصوات النواح و بحة الصراخ.

كما يجنح الشابي إلى خطاب رمزي يخلو من المباشرة في التصوير و الوعظ، فإذا الحكمة آية تجربة إنسانية يخوضها بروح خياله و صميم شعوره.

نبذة عن حياة الشاعر"أبي القاسم الشابي":

1909-1934

" هو أبو القاسم الشابي بن محمد أبي القاسم الشابي، ولد في الشابية إحدى ضواحي " توزر" سنة:1909. لم يمكث الشابي في مسقط رأسه إلا قليلا فقد اضطر أن ينتقل مع أبيه القاضي من مكان إلى مكان، و أن يضرب في الديار التونسية من بيئة إلى بيئة، و في سنة: 1920 التحق بجامع الزيتونة، فأتقن القرآن و العربية و تمرس بالأدب، و كان له ميل شديد للمطالعة، فحصل بها و بنشاطه ثقافة واسعة، جمع فيها ما بين التراث العربي القديم، و معطيات الفكر الحديث و الأدب الحديث، و غذى مواهبه بأدب النهضة في مصر و لبنان و العراق و سورية و المهجر، كما نمى طاقاته الأدبية و الشعرية بمطالعة ما ترجم إلى العربية من آداب الغرب و لاسيما أدب الرومنطيقية الفرنسية، و قد ظهر بنوغه الشعري و هو في الخامسة عشر من عمره.

على إثر تخرجه من جامع الزيتونة التحق بكلية الحقوق التونسية، و كان تخرجه منها سنة: 1930 في هذه الأثناء توفي والده و ترك له عبء الحياة ثقيلا فحاول أن ينهض بالعبء و مسؤولية العائلة، و لكنه أصيب بداء تضخم القلب في الثانية و العشرون من عمره، نهاه الأطباء عن الإرهاق الفكري، فلم ينتهي و واصل عمله و في نفسه ثورة على الحياة و في قلبه تهجم قتال "[1].

[1]- الفاخوري حنا، الجامع في تاريخ الأدب العربي، دار الجيل، بيروت، ط1،1986، ص 555،556.

ولقد ظهر نبوغه منذ صغر سنه " و نشأ على الثقافة الإسلامية العربية "[1]. فحفظ القرن الكريم و عمره تسع سنوات، و تلقى عن والده مبادىء العلوم العربية و الدينية.

" و في عام 1924 عرف الشابي و عمره لا يتجاوز الخامسة عشرة أول تجربة حب في حياته، فنظم شعرا و هو في هذا الطور من صباه "[2].

" كما أنه من محاولي التجديد عمليا في تجاربه العاطفية الإنسانية، و في الصورة و الشكل، بديوانه الشعري :غاني الحياة "[3].

" و يعد أيضا واحدا من كبار رواد الحركة الرومانسية العربية الجديدة، و برز كشاعر وطنية و إنسانية في أدبنا العربي المعاصر"[4].

عالج الشابي عند مجموعة من أطباء القلب، و منهم الطبيب الفرنسي " كارلو " و كان ينصحه بالإقامة في الأماكن معتدلة المناخ ، أواخر عام 1931 و قبل أن يرزق بولده البكر بدأت تنتابه نوبات قلبية، يروي أخوه محمد الأمين الشابي خبر النوبة القلبية التي انتبته عام 1930 حيث يقول:" كان الشابي يعتلج من ضائقة صدرية، فزعت لها أمه و زوجته، عندما كان أبو القاسم الشابي ينظر إليهم بعينين لا ترجوان معونة من أحد، إلا من قلبه لو استعاد إتزانه ...، نوبة دامت ساعتين

[1]- محمد الفاضل بن عاشور، الحركة الأدبية و الفكرية في تونس، ط3، الدار التونسية للنشر، ب ت، ص 194.

[2]- خليل إبراهيم، مدخل لدراسة الشعر العربي الحديث، دار المسيرة، عمان ط2003،1،ص 173.

[3]- بن قنية عمر، الأدب العربي الحديث، دار الأمة، الجزائر، ط1، 2003، ص 173.

[4]- حطيط كاظم، دراسات في الأدب العربي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، (د.ط)، (د.ت)، ص 245.

يقلب في أثنائهما وجهه ولا ينبس إلا بقطرات من العرق تتلألأ على وجهه بالجهد الذي تبطله الحياة لتحق وجودها "[1].

و طلب ورقة و قلم، فأخذ يكتب:

" يا إله الوجـــــــود هذه جراح في فؤادي تشكو إليك الدواهي "[2].

وفاته:

" اشتد عليه المرض سنة 1934، فتوجه إلى تونس العاصمة، فنزل في المستشفى الإيطالي في 26 أغسطس آب بقي فيها حتى توفي سحر يوم 9 تشرين الأول - أكتوبر -1934، و نقل جثمانه إلى بلدة توزر و دفن فيها "[3].

أغراضه الشعرية :

كان يتغنى بالحياة و جمالها من أجل ترغيب الآخرين أن يتوجهوا إلى ذواتهم أولا فيصلحون من أنفسهم، ثم يتأملون الطبيعة التي تلفت أنظراهم إلى جمالها ليدركوا أهمية الحياة و الحرية، غير أن الاستجابة لدعواته لم تكن بالحجم الذي أراده، فنهال على الخاملين و الكسالى بالتقريع، و ينصرف عنهم متوجها إلى الطبيعة متأثرا بالرومنطيقيين لعله يجد الراحة النفسية .

[1]- مجيد طراد، ديوان أبي القاسم الشابي و رسله، دار الكتاب العربي، تونس، ط2، 1994،ص 14،15.

[2]- أبو القاسم ، أغاني الحياة، دار الكتب الشرقية، القاهرة، ط1، 1955،ص 345.

[3]- بسج أحمد حسن، ديوان أبو القاسم الشابي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1995، ص 7.

و الحديث عنه يدل على إحساس الشاعر بالغربة بين أهله و قومه، حيث أن هذا الإحساس يتطور مع مرور الزمن إلى ملل و إشمئزاز، إذ جعل أبو القاسم الشابي من الشعر منطلقا ليعبر عن ذاته و ما يجيش فيها من ألم و هموم.

" أما طريقته في النظم فإنها تقوم على أسس و منطلقات تراعي بمجملها أمرين هما :

عمق المعاني: لارتباطها بالإنسان و بالحياة و بالشعور و سهولة الألفاظ ، ألفاظ لينة فيها قوة و قدرة على حمل المعاني المختلفة، تتداخل من خلالها المحسوسات مما يقرب العبارة إلى الرمزية لما يكتنفها من غموض أو خيال عميق، و كما إهتم باللفظة المفردة و بالمعنى العميق "[1].

و تصل الرؤى بالقارىء ، و هو يستكشف شعره، أن يتساءل بينه و بين نفسه: " هل أن الشاعر يعلل أغراضه. في وصف للمرئيات، يجعل قارىء شعره ما يدري أيقرأ قصيدة مسطورة .أم يشاهد منظر من مناظر الوجد "[2].

و من الأغراض الأدبية أو الشعرية التي خلفها الشابي بالنظر إلى عمره القصير أغراض كثيرة الجياد نذكر منها:

1. الخيال الشعري عند العرب.

2. أغاني الحياة " ديوانه ".

3. قصائد نشرت في الجرائد و المجلات و في كتب الدراسات، قبل و بعد موته.

4. مقالات و محاضرات و يوميات "مذكرات "نشرت في الجرائد و المجلات

[1]- مجيد طراد، ديوان أبي القاسم الشابي و رسائله، ص 17 .

[2]- أبو القاسم، محمد بدري، الشاعران المتشابهان – الشابي، و التيجاني – دار المعارف القاهرة (959) ، ص 34.

و في كتب الدراسات، قبل و بعد موته.

5. رسائله " أو بعضها ".

6. مذكراته " أو بعضها ".

7. جميل بثينة " قصة " [1].

8. قصص أخرى.

9. المقبرة " رواية ".

10.صفحات دامية " قصة ".

11.السكير " مسرحية ".

12.مقالات و محاضرات " و ربما رسائل و يوميات أيضا " [2].

[1]- فروخ عمر، الشابي شاعر الحب و الحياة، دار العلم للملايين، بيروت، (د.ط)،(د.ت)، ص 140.

[2]- المرجع نفسه، ص 141.

ديوانــه:

" أما ديوانه " **أغاني الحياة** " فهو يقع في 285 صفحة كبيرة "[1].

" جمعه في صيف 1934 و سماه " أغاني الحياة" و قد رتبه بنفسه، و اختار ما يريد من القصائد و أهمل بعضها الآخر، و كان يعده للطبع و لكن الموت منعه من ذلك فتولى أخوه محمد الأمين الشابي تلك المهمة، فنشر الديوان بإشراف أحمد زكي أبو شادي سنة 1954 "[2].

فلم يطرأ أي تعديل على الديوان، إلا بإضافة بعض القصائد التي لم يثبتها الشاعر، و هي : " نظرة في الحياة "،" أنشودة الرعد "، " في الظلام "، " أيها الليل " ، " شعري "، " أيها الحب"، " أغنية الأحزان"، " جدول الحب" [3].

تتمحور مواضيع ديوان أبي القاسم الشابي حول نفس مواضيع الشعر الرومانسي الغنائي، فهو يركز بعمق على المشكلات القريبة من وجوده هو، مثل :" عدم الرضى و المعاناة في حياته، تجارب حبه، والأسئلة التي يطرحها الموت و لكنه يسمو فوق حدود وجوده و شخصه بتصوره بإعادة الحياة أو الخلاص بعد الحياة و الموت، و هو يعبر عن هذا بشكل مستمر بالرمز له بالفجر المطل: و لذلك فهو في خياله يحاول أن يتجاوز حدود حياته الفانية ليتعلق بشيء أكثر مثالية و خلود، بشيء تكون الحياة الدنيا مجرد تقليد سيء " [4].

[1]- بسج أحمد حسن، ديوان أبي القاسم الشابي، ص 8.

[2]- أبو القاسم الشابي، أغاني الحياة، ص137.

[3]- بسج أحمد حسن، ديوان أبي القاسم الشابي، ص 8.

[4]- السبيل عبد العزيز، الأدب العربي الحديث، النادي الأدبي الثقافي، جدة، ط 1، 2002، ص 187.

" إن هذا الشاعر قد أخرج الأدب من حدوده الضيقة و طرائقه الميتة، و سما به من دنيا الخصوصيات و التوافه، إلى عالم مشرق جميل، يفيض بالنور و المحبة و الخير، و الكرامة البشرية، و يعبر عن المطالب السامية للنفس الإنسانية و يصور الجوانب الرفيعة في حياتنا، و يتجاوب في إحساس و وعي كاملين مع مطامح الشعب "[1].

- **توظيف الرمز عند أبي القاسم الشابي:**

❖ **الرمز الأسطوري:**

تعد الأسطورة ظاهرة فنية تركت بصمتها في العديد من الدراسات المعرفية رافقت هذه الظاهرة في الآونة الأخيرة الشعر الحديث و المعاصر الذي أصبح حقلا خصبا لها، وقد كانت في بدايتها علما ومعرفة حيث سعى الإنسان البدائي للإكتشاف من خلالها ومعرفة حقيقة الوجود والعلاقة التي تربطه به .

وعلى هذا الأساس، فقد شغلني كثيرا وجلب انتباهي ما جاء في شعر أبي القاسم الشابي من صور و رموز و إيحاءات و إنفتاح رؤيوي نابع من هواجس تخيلية و أنساق أسطورية، ولقد كان الشاعر الشابي على وعي بتوظيف الرمز الأسطوري في شعره، حيث عمل على صنع الكيان الكلي الموحد في تجربته، وعمقت مضمون العطاء الفني و المعنوي في نفس المتلقي أو القارىء، و من هنا نجد هذا التوظيف ظاهر في قصيدته " الأبد الصغير" التي قال فيها :

[1]- الخير هاني، أبو القاسم الشابي شاعر الحياة و الخلود، دار فليتس، الجزائر، (د.ط)،(د.ت)، ص 7.

يـــا قلـب! كـم فيـك مـن دنيـا محجـبة كأنهـا، حـين يبـدو فجرهـــا " إرم "
يـا قلـب! كم فيك من كون، قـد اتقّدت فيه الشموس، وعاشت فوقه الأمـم!
يـــا قلـب! كـم فـــيك مـن أفـــق تنمقـه كـواكـــب تتجلـــى ، ثـم تنعدم !
يـا قلـب! كم فيك من قبـر قد انطفأت فيـــه الحياة، و ضجت تحته الرمـم!
يا قلب! كم فيك من غـاب و من جبل تدوي به الريح، أو تسمو بـه القمم!
يا قلب! كم فيك من كهف قد انبحست منه الجـــداول تجري ما لها لجـم [1]

إستطاع الشاعر في هذه القصيدة العثور على رمز للأمل الخفي وللمدينة المجهولة في أسطورة " إرم "، التي تتلائم مع حالته النفسية بحيث وجد فيها الشابي إستمرار للأمل والمستقبل، والتطلع إلى الحياة المفعمة بالأحاسيس والأحلام، بحيث هذا التطلع المتزايد في أعماق الشابي، يفسر صورة من صور المقاومة النفسية الباطنية، بين إحساس نابض بالحياة والخلود وبين واقع مر كان يعيشه الشاعر، وهكذا إستطاع الشابي أن يلمح " إرم " * [2] الأسطورة تشخيصا فنيا، وتواصلا نفسيا، جسدت فيه رحلته إلى الأمان، من خلال بعث الظلال الوجدانية والمعنوية لهذه الأسطورة، والتعبيربها عن مضامين مترسبة في نفس الشاعر.

[1]- بسج أحمد حسن، ديوان أبي القاسم الشابي، ص133.

[2] * - " إرم " مدينة أسطورية يقال : أنها بنيت على ضفة الجنة، أرضها من مسك، وقصورها من خالص الذهب واللؤلؤ، وأنها لازالت إلى يومنا هذا في صحراء العرب، ولكنها محجوبة لايراها أحد،ويقال : أن شداد بن عاد، هو الذي بناها وحينما أهلك الله قوم " عاد " إختفت " إرم " وظلت تطوف وهي مستورة.

و ربما كان أبو القاسم الشابيمن أوائل من قدّم أسطورة " **بروميثيوس** " * [1] أو " **سارق النار** " بوصفه بطلا للمقاومة في الشعر العربي .و قد استمدّ هذا الرمز في قصيدته المعروفة " نشيد الجبار "، أو هكذا "غنّى بروميثيوس " ، وهي أجلى قصيدة للتأثر الكامل بالأسطورة و التي توحي إلى عدة رموز: " رمز النور،الهداية، العلم، المقاومة، التحدي...إلخ.

و في مطلع القصيدة يقول:

سأعيش رغم الداء والأعداء كالنسر فوق القمة الشمّاء
أرنو إلى الشمس المضيئة، هازئا بالسحب و الأمطار، و الأنواء
لا أرمق الظل الكئيب... ولا أرى ما في قرار الهوة السوداء...
و أسير في دنيا المشاعر حالما غردا – وتلك سعادة الشعراء –
أصغي لموسيقى الحياة، و وحيها وأذيب روح الكون في إنشائي
وأصيخ للصوت الإلاهي الذي يحيي بقلبي ميت الأصداء
وأقول للقدر الذي لا ينثني عن حرب آمالي بكل بلاء [2].
[2].

[1]- مضمون هذه الأسطورة " بروميثيوس " أنه سرق النار من جبل الأولمب، ومنحها للبشر، كي يتمكنوا من إتقاء برد الشتاء، وطهي طعامهم فعاقبته الآلهة " زوس كبير الآلهة الإستبدادية " ، حيث تحمل العقاب الفظيع الذي شد فيه وثاقه إلى صخرة أعلى " جبال القوقاز "، وأمر النسر أن يأكل كبده، لتعود مرة ثانية وتنمو، كي يعاود النسر المتوحش إلتهامها مرة أخرى، ومن ثم أصبحت هذه الأسطورة رمزا للبطولة والمقاومة.

[2]- أبو القاسم الشابي، ديوان أغاني الحياة "نشيد الجبار أو هكذا غنّى بروميثيوس "، الدار التونسية للنشر، 1970،ص 256،257.

❖**رمز الطبيعة:**

تعد الطبيعة من أبرز السمات الفنية التي وجدت في الشعر العربي الحديث بحيث لجأ إليها الشاعر لنقل حالته النفسية ومشاهد العصر الذي يعيش فيه متخذا عدة أساليب لتوصيل فكرته والتعبير عن قضاياه فاعتبر بذلك الشعر وسيلة لتعبير.

ونجد موضوع الطبيعة موجود في كل قصائد الشابي، بحيث أنها ملفتة للإنتباه و الإهتمام ولقد إمتاز الشابي بتميزه وتفرده بين شعراء جيله برغم صغر سنه إلا أنه خلد إسمه بين كبار الأدباء وترك بصمته في الأدب العربي.

ولقراءتنا لقصائد الشاعر الشابي نلاحظ أن معظم صوره الرمزية يستمدها من الطبيعة لكل تجاربه الشعرية بحيث تعد ملجأه وهروبه وميله إلى الوحدة و الانعزالية في اللجوء إلى حياة الغاب المثالية ،بعد أن أصبح المجتمع عاجزا عن إحتواء مشاعره، فضعفت صلته النفسية بينه وبين قومه، و لهذا يفر من عالمه الواقعي ويهيم بمثالية الغاب لأنه وجد في الطبيعة العطاء والكرم بعيدا عن النفاق والمصالح.

وهنا نجد أن أبو القاسم الشابي، يتخذ من " الغاب " رمزا للحياة الطاهرة النقية فيقول :

" آه !مـا أجمـل الظـلام ! و أقــوى وحيــه فــي فـؤادي ّ المفتــون !"
"انظري اللّيـل فهـو حلّـة الأحـــلام يمشــي علــى الــذرى والحــزون "
"واسمعي الغاب، فهو قيثارة الكون تغنــي لحبنــا الميمـون "
إن سحر الضباب، و الليل، والـغاب بعيـــد المـــدى، قـوي الفتـــــون
" وجمـال الظـلام يعبـق بالأحـــلام والحــب..... فابســمي،والثميني"
"آه ! مــا أعــذب الغــرام ! وأحلــى رنـة اللـثم فـي خشـوع السكون ! "[1] .

و يقول أيضا :

هــو ّن علــى قلبــي المغنّـــي إن كنـــت لا تبصـــر النجـــوم
ولا تــرى الغــاب، وهــو يلغــو و فوقـــه تخـــطر الغيـــوم
ولا تـــرى الجـــدول المغـــني و حولـــه يرقـــص الغـــيم
فـــكلنا بـــائس، جديـــر برأفـــه الخـــالق العظـــيم
و كلنــا فــي الحيــاة أعمــى يســـوقه زعـــزع عقيـــم
و حولـــه تزعـــق المنايـــا كأنهـــا جـــِنّة الجحيـــم:[2].

[1]- المصدر السابق، " تحت الغصون" ، ص248،249.

[2]- المصدر نفسه، " إلى عازف أعمى" ،ص 117، 118.

اتخذ الشاعر أبو القاسم الشابي من " الغاب " ملجأ لنفسيته المتعبة و المرهقة من مشقة الحياة البائسة، الذي زعمه رمزا للراحة و السكينة و الإبتعاد عن أهوال الناس و نفاقهم و مكرهم.

نجد أن الحياة التي يصورها الشاعر، لا تتدخل فيها متناقضات الواقعن من خبث و رياء :

إن فـــي الغـــــاب أزاهـــير، و أعشـــاب عـــذاب
ينشـــد النحـــــل، حواليهـــا، اهازيجـــا طـــراب ً
لـــم تدنـــس عطرهـا الطـــاهر، أنفـاس الذئـــاب.
لا، و لا طاف بها الثعلب في بعض الصحـاب ! [1]

[1]

و الشاعر في هذه الأبيات الشعرية استعمل أكثر من رمز، ليبين و يوضح الصورة، و يعمق الفكرة في ذهن المتلقي أو القارىء، فإلى جانب رمز " الغاب " نجد رموز أخرى ألا و هي رمز " الذئاب " و يقصد به الشابي فئة من الأنماط البشرية الطفيلية، و كذلك نجد رمز " الثعلب " و يقصد به المكر و الخداع اللذان شاعا في المجتمع بحيث أن " الثعلب " معروف بالمكر و الخداع كما نجده في قصص " كليلة و دمنة "، و كل هذه الرموز تناسقت فيما بينها، و أنتجت لنا لوحة مثالية لحياة الغاب، و كشفت لنا في الوقت نفسه، سلبيات و مساوىء الواقع المر.

[1]- بسج أحمد حسن، ديوان أبي القاسم الشابي، ص 163.

و " الغاب " لم تكن مجرد رمز للحياة النقية و الطهارة فقط، بل كانت رمزا للحب و الخير و الخلود :

بيتٌ ، بنته لي الحياةُ من الشّذى، و الظلّ ، و الأضواء، و الأنغام
بيتٌ ، من السحر الجميل شيّد للحبِّ ، و الأحلام ، و الإلهام
في الغاب سحرٌ رائعٌ متجددٌ باقٍ على الأيّام و الأعوام
و شذى كأجنحة الملائك، غامضٌ ساهٍ يرفرف في سكونٍ سام
و جداولٌ ، تشدو بمعسول الغنا و تسير حالمةً، بغير نظام
و مخارفٌ نَسَجَ الزمان بساطها من يابس الأوراق و الأكمام
و حَنَا عليها الدّوْحُ ، في جبروت بالظلِّ، و الأغصان و الأنسام
في الغاب، في تلك المخارف،والرُّبى وعلى التّلاع الخُضر،و الآجام[1].

و هكذا صارت الصورة الرمزية وسيلة فنية تعكس الصدى النفسي للشاعر و محاولاته في تشيد عالم مثالي يتجرد فيه من قيود المجتمع و تقاليده، و تحويل الواقع المر في صورة الطبيعة الجميلة، بحيث رمز إليها بـ " الغاب " .

الصباح:

" يلاحظ المتلقي أو القارىء لشعر أبي القاسم الشابي أن هناك الكثير من الكلمات و المفردات الدالة و التي تحي على النور كثيرة، إذ بلغت 315 كلمة، منها 46

[1] - أبو القاسم الشابي، ديوان أغاني الحياة " الغاب " ،ص 266.

مرة يرد فيها اسم الصباح "[1] ، و تظهر معالم الصباح بأبهى صورها في قصيدته قصيدته " ذكرى الصباح "

يقول :

قـــدس الله ذكـره مـن الصـــــباح ســاحر، فــي ظــلال غــاب جميــل
كـان فيــه النسـيم يـرقص سكرانــا علـــى الـــورد، و النبـــات البليـــل
و ضباب الجبال، ينساب في رفق بـــديع، علـــى مـــروج السهـــــول
و أغاني الرعاة، تخفق في الأغوار و الســـهل، و الـــرب، و التلـــول
و رحـاب الفضـاء، تعبق بالألحـان و العطـــر، و الضـــياء الجميـــل
و المـلاك الجميـل، مـا بـين ريحـان و عشـــب، و ســـنديان ظـــليل
يتغنـى مـع العصـافير فـي الغـــاب، و يرنـــو إلـــى الضـــباب الكســـول
و شـعور المـلاك تـرقص بالأزهـــار و الضــوء ، و النســيم العليـــل [2].

فالشاعر هنا في ابياته يرسم مظاهر الصباح الحسية، فيحدد المكان الذي يصف صباحه، فهو في " ظلال غاب جميل " ثم يصف ما يدور حوله و الضباب ينساب على المرج ، و أغاني الرعاة تتردد أصداؤها بين الأغوار و السهول و التلول.

[1]- انظر: البيطار محمد شفيق، صورة الطبيعة في شعر الشابي، مجلة دمشق العدد 3+4، 2008، المجلد 24، ص 26.

[2]- أبو القاسم الشابي، ديوان أغاني الحياة " ذكرى الصباح "، ص 230.

و أجمل ماغنى به أبو القاسم الشابي الصباح هو بداية قصيدته " من أغاني الرعاة " حيث ينشد بصوت الراعي

قائلا:

أقبـــل الصـــبح يغنـــي للحيـــاة النـــاعســـة
و الربـــى تحلـــم فـــي ظـــل الغصـــون المائســـة
و الصـــبا تـــرقص أوراق الزهـــور اليابســـة
و تهـــادى النـــور فـــي تلـــك الفجـــاج الدامســـة
أقبـــل الصـــبح الجميـــل ،يمـــلأ الأفـــق بهـــاه
فتمطـــى الزهـــر ، و الطيـــر ، و أمـــواج الميـــاه
قـــد أفـــاق العـــالم الحـــي ، وغنـــى للحيـــاة
فـــأفيقي يـــا خرافـــي ، و هلمـــي يـــا شيـــاه [1].

و ها هنا ذا الصباح يقبل و و يغني للحياة التي لا تزال في غفوتها ليوقظها من أحلامها ، بينما راح النسيم العليل يحرك أوراق الزهور اليابسة بحيث تتمايل و تتراقص وهي ترحب بالصباح الذي أقبل يملأ الأفق ببهاه و ينشر النشاط .

المساء :

أما عند تطلعنا على إستعماله لرمز المساء فهو يحي بالحزن، ذا شحون

[1]- المصدر السابق " من أغاني الرعاة "، ص 220،221 .

و حسرات و لوعة في صدره ، و في قلبه صعقات المنوم فيخيم هذا المساء فيحل الظلام بالكون فيظلمه بلونه و بقلبه، عند إقبال المساء و حلول الظلام تأسى النفوس و ترنو الأحزان و يموت فيها الحنين، و يحمل معزوفة ليسمع هذا الوجود صرخات القلوب الحزينة.

يقول الشابي في مطلع قصيدته " المساء الحزين " :

أظل الوجود المساء الحزين ، و في كفه معزف لا يبين
وفي ثغره بسمات الشحون ، و في طرفه حسرات السنين
و في صدره لوعة لا تقر ، و في قلبه صعقات المنون
و قبله قبلا صامتات ، كما يلثم الموت ورد الغصون
و أفضى إليه مزاميره ، فغنت بها في الظلام الحزون
و علمه كيف نأسى النفوس، و يقضي يؤوسا لديها الحنين
و أسمعه صرخات القلوب ، و أنهله من سلاف الشؤون [1].

❖ **رمز بعض الألوان:**

شكل استخدام اللون ظاهرة مميزة في الأدب العربي بشكل عام، و في الشعر بشكل خاص، فقد شغل في الشعر حيزا قد يفوق ما شغله في الفنون التشكيلية الأخرى، يستمد منه بعض طاقاته الإيحائية، ذلك أن دراسة اللون تنطلق من دوره كأداة للتعبير الفني، له أهميته ودلالته، فاللون شهد تطورا هاما في هذا القرن " فقد عرف ثلاث نقلات هامة، أولها من طبيعته الحياتية إلى طبيعته النفسية

[1]- أبو القاسم الشابي، " المساء الحزين "، ص 94.

أو إلى طبيعة سيكولوجية-فيزيولوجية، وثانيهما من رؤيته عنصرا من عناصر الشكل إلى رؤيته عنصرا من عناصر المعنى، والثالثة من وضعه التزييني كحلية للزركشة إلى وضعه الشعوري، كأداة للتعبير " [1].

هكذا يحتل اللون في الشعر فضاء بالغ الأهمية لما له من قدرة إيحائية عالية وبعد فكري ودلالي، فقد استخدم الشاعر اللون للتعبير عن الحالة النفسية المراد إيصالها للمتلقي أو لرسم صورة شعرية بالألوان، ذلك أن " الشعر رسم ناطق " [2].

لقد استعمل الشابي عدة ألوان كرموز موحية ومن هنا نذكر بعض الألوان التي وردت في قصائده :

اللون الأسود:

نرى أن اللون الأسود عند الشابي يوحي إلى الحزن والتشاؤم و الظلام والقسوة . فيقول الشاعر :

ليت شعري! كم بين أمواجك السو د ، وطيـــات ليلـــك المســـدول
من غرام ، مذهب التـــاج ، ميت وفـــؤاد مصفـــد ، مغلـــول
وزهـــور مـــن الأمـــاني تـــذوي فـــي شـــحوب ، وخيبـــة ، وخمـــول
أنتي لا تعلمين .. ، والليل لا يعلم كـــم فـــي ظلامـــه مـــن قتيـــل [3].

[1] -اليافي نعيم، تطور الصورة الفنية في الشعر العربي الحديث، اتحاد الكتّاب العرب، دمشق، سوريا،1983، ص 218.

[2] -طراد الكبيسي الشعر و الرسم، رؤية طوبولوجية - من بحوث مهرجان المربد الحادي عشر.

[3] - أبو القاسم الشابي ، ديوان أغاني الحياة " ذكرى صباح " ، ص 231.

فاللون الأسود هنا يصور لنا حزن الشاعر وأساه وفؤاده المصفد مغلول ، وزهور أمانيه تذوي في شحوب وهو يعاني الخيبة والخمول.

ويقول أيضا في قصيدته " في سكون الليل " :

هـــل ســـيبدو الفجـــر بســـاما ، كعـــذراء الخلـــود
تاليـــا أنشـــودة الحـــب ، علـــى ســـمع الوجـــود؟
أم ســـيبدو مـــن وراء الأفـــق ، جبـــارا عنيـــد
ينـــذر الأيـــام بالشـــر ، وبـــالهول المريـــد؟
هـــل ســـيبدو الفجـــر ، يـــا ليـــل ! إذا جـــاء الغـــد
وجناحـــاه إذا رف اللهيـــب الأســـود ؟[1].

وفي هذه الأبيات نجد أن أبو القاسم الشابيعاني خيبة أمل وا نكسار وتحطم .

وقال أيضا :

مـــا لآفاقـــك يـــا قلبـــي ســـودا ، حالكـــات ؟
ولأورادك بـــين الشـــوك صـــفرا ، ذاويـــات ؟
ولأطيـــارك لا تلغـــو ؟ فـــأين النغمـــات ؟
مـــا لمزمـــارك لا يشـــدو بغيـــر الشهقـــات ؟[2].

[1]- أبو القاسم الشابي، " في سكون الليل " ، ص 292.

[2]- المصدر نفسه ، " إلى قلبي التائه "، ص134.

وهنا نجده مخاطبا لقلبه " يا قلبي " أين النغمات وحزينا على ما يشدوه من ألم وشهقات .

اللون الأبيض:

ومن إيحاءات اللون الأبيض نجد الصفاء ، الطهر ، الجمال ، الفرح ، الراحة والسكينة ، النقاء ، والهدوء ، والأمل والحب والسرور.

يقول الشابي في قصيدته " قلب الأم " :

يـــا أيهـــا الطفـــل الـــذي قـــد كـــان كـــاللحن الجميـــل
والـــوردة البيضـــاء ، تعبـــق فـــي غيابـــات الأصـــيل [1].

وكلمة " بيضاء " هنا ترمز إلى الطفولة البريئة بحيث شبه الطفل باللحن الجميل والوردة البيضاء التي تعبق في غيابات الأصيل.

ولقد شبه الطفل بأوصاف عديدة التي تدل على طهر الطفولة ونعومتها.

و يقول أيضا في قصيدته " جدول الحب بين الأمس واليوم " :

بـــالأمس قـــد كانـــت حيـــاتي كالســـماء الباســـمه
واليـــوم ، قـــد أمســـت كأعمـــاق الكهـــوف الواجمـــه

[1]- المصدر السابق، " قلب الأم " ، ص 194.

قد كان لي ما بين أحلامي الجميلة جدول يجري به ماء المحبة طاهرا ، يتسلل تسعي به الأمواج باسمة كأحلام الصبا، بيضاء ، ناصعة ضحوكا مثل أزهار الربى مياسة كعرائس الفردوس بين حقوله تتلو أناشيد المنى في مده وقفوله [1].

وهنا نجد لذة الشاعر النفسية واضحة أو بادية ، إذ جعل ماء جدول حبه سلسالا تحركه أمواج باسمة كأحلام الصبا البيضاء الناصعة ضحوكا كأزهار الربى ، وهذا ما يترجم راحة وطمأنينة الشاعر .

كما يقول عن الحياة في قصيدته " الجنة الضائعة " :

ونظل نعبث بالجليل من الوجود ، وبالحقير : بالسائل الأعمى ، وبالمعتوه ، والشيخ الكبير بالقطة البيضاء ، بالشاة الوديعة ، بالحمير بالعشب ، بالفنن المنورة ، بالسنابل ، بالسفير بالرمل ، بالصخر المحطم ، بالجداول ، بالغدير [2].

[1]- أبو القاسم الشابي، " جدول الحب بين الأمس واليوم " ، ص 82.

[2]- المصدر نفسه، ديوان " أغاني الحياة " ، " الجنة الضائعة " ، ص 215.

وقال أيضا :

أيـــــام تفـــــرش ســـــبلنا الـــــدنيا بـــــأوراق الزهـــــور
وتمـــــر أيـــــام الحيـــــاة بنـــــا ، كأســـــراب الطيـــــور
بيضـــــاء لاعبـــــة ، مغـــــردة مجنحـــــة بنـــــور
وترفـــــرف أفـــــراح فـــــوق رؤوســـــنا أنـــــى نســـــير [1].

فالحياة في عهد الشاعر أي ماضيه كانت تمر كأسراب الطيور ، وهي بيضاء لاعبة ومغردة مجنحة بنور وتخلق الفرح والسرور وتنشر البهجة والراحة في النفوس وهذا ما يعكس حنين الشاعر وشوقه إلى العودة للماضي.

اللون الأحمر :

يعد اللون الأحمر من أوائل الألوان التيعرفها الإنسان في الطبيعة ، " فهي من الألوان الساخنة المستمدة من وهج الشمس و اشتعال النار و الحرارة الشديدة و هو من أطول الموجات الضوئية "[2].

ويرمز اللون الأحمر إلى الشكر و الهزيمة ، الموت ، والتشرد ، ورمز للعواطف والحب والجمال والحنين والبراءة والغناء و كما يرمز أيضا إلى الثورة و الغضب و الانتقام و القسوة.

يقول الشابي في قصيدته " نشيد الجبار أو هكذا غنى بروميثيوس " :

[1]- أبو القاسم الشابي، " الجنة الضائعة"، ص 215،216.

[2]- عمر أحمد المختار، اللغة واللون ، عالم الكتب ، القاهرة ، مصر، ط2 ،1997، ص201.

و أنا الخضم الرحب ، ليس تزيده إلا حيـــاة سطـــوة الأنـــواء
أما إذا خمدت حياتي ، و انقضى عمري ، و أخرست المنية نائي
و خبا لهيب الكون في قلبي الذي قد عاش مثل الشعلة الحمراء
فأنـــا السعيد بأنني متحـــول عن عالـــم الآثـام و البغضـاء
لأذوب في فجر الجمال السمردي و أرتوي من منهل الأضـــواء[1].

و هنا الشاعر شبه قلبه بالشعلة الحمراء بحيث يرمز إلى البراءة و الجمال .
و لكن المنية سلبت منه حياته و خمد عمره و لهيب الكون خبا في قلبه.
و نجده أيضا قد استعمل صفات اللون الأحمر دون أن يصرح به ، و هذا ظاهر في قصيدته " الغزال الفاتن ":

خصـــره مـــن نحافتـــي ونحولـــــي تمنطقـــا
مرشفـــــاه بخـــده ودمـــــائي تخـــلفا
مـــن لظـــى جمـــر خـــده كبـــدي قـــد تحرقـــا [2].

وهنا يصف الخد بالحمرة ويستعين على هذا الوصف بـ " مرشفاه " ، و" دمائي " و " جمر " و " كبدي " وهي صفات تدل على شيء واحد أو تشترك في لون الحمرة.

[1]- أبو القاسم الشابي، " أغاني الحياة "، " نشيد الجبار أو هكذا غنى بروميثيوس " ، ص 257.
[2]- المصدر نفسه، "الغزال الفاتن " ، ص 18.

اللون الأصفر:

فهو رمز للجمال الزائل والاضطهاد والهزيمة والضعف ويعد أيضا رمزا للغش والخداع .

فيقول الشابي في قصيدته " إلى قلبي التائه ":

مـــــا لآفاقـــــك يـــــا قلبـــــي ســـــودا ، حالكـــــات ؟
ولأورادك بـــــــين الشـــــــوك صـــــــفرا ، ذاويـــــــات ؟
ولأطيـــــــارك لا تلغـــــو ؟ فأيـــــــن النغمـــــــات ؟[1] .

اللون الوردي :

وهو يرمز إلى الهدوء والفرح والبهاء والنقاء يقول الشابي في قصيدته" فكرة الفنان ":

عش بالشعور، وللشعور، فإنما دنيـــاك كـــون عواطـــف و شـــعور
شيدت على العطف العميق وا نها لا تجـف أو شـيدت علـى التفكيـر
و تظـل جامـدة الجمـال، كئيبـة كالهيكـــل، المتهـــدم ، المهجـــور
و تظل قاسية الملامـح ، جهمـة كـالموت ، مقفـرة ، بغيـر سـرور
لا الحـب يـرقص فوقهـا متغنيـا للنـــاس ، بـــين جـــداول و زهـــور
متـوردا الوجنـات سـكران الخطـى يهتـز مـن المـرح ، و فـرط الحبـور[2].

[1]- أبو القاسم الشابي ، " اغاني الحياة " ، "إلى قلبي التائه "، ص 134.

[2]- المصدر نفسه، " فكرة الفنان "، ص 190.

❖ **رمز الموت:**

إن رمز الموت و مفرداته حاضر حضورا قويا في شعر أبي القاسم الشابي في كل مراحل حياته الإبداعية بشكل يسترعي الإنتباه مثل مفردات : الموت المنون، القبر، الرمس، الخراب، الدمار، الهدم، الجحيم، المأتم. و هذا الحضور الذهني لرمز الموت يعبر عن وعي الشاعر الدائم بالموت فينقل مع تجربته الذاتية التجربة الإنسانية و الانفعالية .

فيقول الشابي في قصيدته " الزنبقة الذاوية " :

إن جرفتني أكفٌ المنون إلى اللحد أو سحقتك الخطوب
فحزني و حزنك لا يبرحان ألفين رغم الزمان العصيب
و تحت رواق الظلام الكئيب إذ شمل الكون روح السحر
سيسمع صوت، كلحن شجي تطاير من خفقات الوتر
يردده حزننا في سكون على قبرنا الصامت، المطمئن
فنرقد تحت التراب الأصم جميعا على نغمات الحزن[1] .

[1]- أبو القاسم الشابي، ديوان أغاني الحياة " الزنبقة الذاوية "، ص 53، 54.

و يستند الشابي في تلك التجربة إلى لحظة الانفعال التي تنتابه، فحين يستبد به الحزن و المزق و الألم و الضياع، يحضر الموت و تغيب مسرات الحياة، يقول :

أرى هيكل الأيام ، يعلو مشيدا ولا بد أن يأتي على أسه الهدم
فيصبح ما قد شيد الله و الورى خرابا، كأن الكل في أمسه و هم !
فقل لي:" ما جدوى الحياة و كربها و تلك التي تذوي، و تلك التي تنمو؟ "
" و فوج ، تغذيه الحياة لبانها و فوج ، يرى تحت التراب له ردم ؟ "
و عقل، من الأضواء ، في رأس نابغ و عقل ، من الظلماء ، يحمله فدم "
" و أفئدة حسرى ، تذوب كآبة و أفئدة سكرى ، يرف لها النجم ؟ "
لتعس الورى ، شاء الإلاه وجودهم فكان لهم جهل، و كان لهم فهم !! [1].

[1].

فمرض الشابي كان عنصرا مهما من عناصر المأساة الخاصة التي عاش فيها مما جعله يكثر من الحديث عن قلبه الذي تهدده الموت بين لحظة و أخرى فيقول :

يا شعر! قلبي - مثلما تدرى - شقي، مظلم
فيه الجراح النجل ، يقطر من مغاورها الدم
جمدت على شفتيه أرزاء الحياة العابسة

[1]- المصدر السابق، ص 175.

فهـــو التعـــيس ، يذيبـــه نـــوح القلـــــوب البائســـة[1].

و شعر الشابي يزخر بطاقة من الإيحاء و التضمين الدلالي على التحول من الرهبة و الخوف من الموت إلى الرغبة في الموت في لحظة شعرية، يقول الشاعر في قصيدته " إلى الموت " :

إلى الموت! يا ابن الحياة التعيس، ففي الموت صوت الحياة الرخيم
إلى الموت؟ إن عذبتك الدهـو، ففي الموت قلب الدهور الرحيم
إلى الموت ! فالموت روح جميل، يـرفرف من فوق تـلك الغيـوم
فروحـا بفجر الخـــلود البهيج،و ما حولـه من بنـات النجوم . . .[2]

❖**رمز الوطن:**

يشكل الرابط العاطفي بين الشاعر و وطنه السمة الأولى المميزة للشعر الوطني فقد كانت القصيدة فضاءا فسيحا عبر من خلالها الشاعر عن مدى عمق حبه للوطن وتعلقه به لدرجة يعتقد القارىء أن القصيدة غزلية وذلك كثرة المعجم العاطفي وهيمنة أسلوب التغزل .

[1]- المصدر نفسه، ص 55، 56.

[2]- المصدر السابق، " إلى الموت " ، ص 114، 115.

" إن الوطنية شعور ذاتي يرضخ الإنسان بموجبه إلى دوافع نفسية ، ومنازع ذاتية، يتألب مع المجموعة البشرية المنتمي إليها تالبا وجدانيا إنفعاليا "[1].

وهنا نجد في شعر أبي القاسم الشابي رمز الوطن " تونس " وما يربطه من علاقات عاطفية من الحب والإخلاص والنضال والكفاح . فيقول في قصيدته " تونس الجميلة " :

لست أبكي لعسف ليل طويل ، أو لربع غدا العفاء مراحه
إنما عبرتي لخطب ثقيل ، قد عرانا ، و لم نجد من أزاحه
كلما قام في البلاد خطيب موقظ شعبه يريد صلاحه
ألبسوا روحه قميص اضطهاد فاتك شائك يرد جماحه
أخمدوا صوته الإلهي بالعسف أماتوا صداحه و نواحه[2].

و يقول أيضا:

أنا يا تونس الجميلة في لج الهوى قد سبحت أي سباحه
شرعتي حبك العميق و إني قد تذوقت مره و قراحه
لست أنصاع للواحي و لو مت و قامت على شبابي المناحه
لا أبالي . . . و إن أريقت دمائي فدماء العشاق دوما مباحه [3].

[1]- رستم رقية، ملامح المقاومة في شعر أبي القاسم الشابي، مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها، العدد 4 ، 2011 ، ص 8.

[2]- أبو القاسم الشابي،" أغاني الحياة" ، " تونس الجميلة "، ص 24.

[3]- المصدر نفسه، ص 25.

و يقول أيضا في قصيدته " إلى طغاة العالم " :

ألا أيـــها الظـــالم المستـــبد حبيـب الظـلام ، عـدو الحيـاة
سـخرت بأنـات شعـب ضـعيف و كفـك مخضـوبة مـن دمـاء
و سـرت تشـوه سـحر الوجـود و تبـذر شـوك الأسـى فـي ربـاه
رويـدك ! لا يخدعنـك الربيـع وصحو الفضاء ، و ضوء الصباح
ففـي الأفـق الرحـب هـول الظـلام وقصـف الرعـود ، وعصـف الريـاح
حـذار ! فتحـت الرمـاد اللهيـب ومن يبـذر الشوك يجـن الجـراح [1].

وهنا نجد في شعره يخاطب طغاة العالم والظالم المستبد وأهل الظلم ، وينادي بإنهزام الظالم إنتصار و المظلوم.

❖رمز المرأة :

" تجلت المرأة في شعر أبي القاسم الشابي كائنا رمزا أقرب ما يكون إلى الصورة الرهيفة التي شكلها الشعر الصوفي للمرأة كتب الشابي ، تصديقا لما ذهب إليه في قصيدته " صلوات في هيكل الحب " مطلقا العنان لرغبته في السمو بالمرأة إلى فضاء العشق السماوي "[2].

ويقول الشاعر:

[1]- المصدر نفسه، "إلى طغاة العالم " ، ص 264.

[2]- السبيل عبد العزيز، الأدب العربي الحديث ، ص 188،189.

عذبة أنت كالطفولة ، كالأحلام كاللحن ، كالصباح الجديد
كالسماء الضحوك كالليلة القمراء كالورد ، كابتسام الوليد
يا لها من وداعة و جمال وشباب منعم أملود !
يا لها من طهارة ، تبعث التقديـ س في مهجة الشقي العنيد[1]. !

وهنا نجده يشبه المرأة بالعذبة كالطفولة وكالأحلام ، كاللحن ، كالصباح الجديد الذي تنتشر فيه الحيوية والنشاط ، وكذلك وصفها بالسماء الضحوك والليلة القمراء والورد.

ويقول في نفس القصيدة :

أي شيء تراك ؟ هل أنتي فينيس تهادت بين الورى من جديد
لتعيد الشباب و الفرح المعسول للعالم التعيس العميد !
أم ملاك الفردوس جاء إلى الأر ض ليحي روح السلام العهيد !
أنت . . .، ما أنت ؟ رسم جميل عبقري من فن هذا الوجود
فيك ما فيه من غموض و عمق و جمال مقدس معبود
أنت..ما أنت؟ أنت فجر من السحر تجلى لقلبي المعمود [2].

[1]- أبو القاسم الشابي ، "صلوات في هيكل الحب " ، ص 183.

[2]- أبو القاسم الشابي ، " صلوات في هيكل الحب " ،ص 183،184.

وهنا نجد أن الشاعر جعل من المرأة مصدرا للفرح والسرور الذي يسود العالم التعيس و إعادة الشباب ، وصفها بالرسم الجميل من فن هذا الوجود ، بحيث قال أن فيها غموض وعمق وجمال مقدس معبود ، وأنت فجر من السحر تجلى لقلبي المعمود .

الخاتمة

خلصت من خلال دراستي لهذا الموضوع الموسوم بـ "**أثر الرمزية الغربية في الشعر العربي**" إلى عدة نتائج وهي كالتالي :

*تعدد و اختلاف مفهوم و تعاريف الرمز.

*اختلاف الباحثون في تقسيم أنواع الرمز و مستوياته.

*تعدد سمات الرمز التي يمكن أن نستمدها من المفاهيم المتباينة للرمز.

*تأثر الشاعر" أبو القاسم الشابي" بالمذهب الرمزي و ذلك ظاهر في توظيفه للرمز في ديوانه "أغاني الحياة" .

*استخدام "أبو القاسم الشابي" الصور الإيحائية من أجل التعبير عن التجربة العاطفية و هذا ما حقق نوعاً ما من التلاحم النفسي بين الشاعر و رموزه الموحية و ما تحمله من دلالات .

*استعمال الشاعر بعض الأساطير التي كانت تعد رمزاً دالاً و يمكن معبراً عن ما يريد أن يبوح به من حقائق .

*لجوء الشاعر إلى الطبيعة التي تعد مصدر إلهام له و هروبه من الضوضاء و حبه للعزلة و الهدوء و السكينة .

*استعمال بعض الألوان التي كانت تحمل دلالات مختلفة كاللون الأسود و الأبيض و غيرهما من الألوان الأخرى .

*شغل رمز "الموت" حيزاً كبيراً في شعره و هذا ما كان يعيشه في صراع مع مرضه الفتاك .

*ذكر رمز الوطن و ما يربطه من علاقات عاطفية من الحب و الإخلاص و الصدق و الكفاح .

*حب الشاعر و ولهانه يقترن بالفن و الجمال و التصوف، بحيث نجد في قصائده رمز المرأة التي كانت رمزاً للأم و المحبوبة و المرأة المكافحة و المناضلة التي رسمها في لوحة فنية فريدة من نوعها.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم:

1. سورة آل عمران، الآية {41}." برواية حفص عن عاصم "
2. سورة الذاريات، الآية {56}. " برواية حفص عن عاصم "

المعاجم والقواميس:

1. ابن منظور، لسان العرب المجلد الثالث، دار المصادر، بيروت، 1997.
2. الفيروز أبادي، القاموس المحيط، ج2،دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1999.
3. محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن، سورة آل عمران الآية 41 ، جامع المعاجم، شركة عريس للكمبيوتر.

الكتب:

1. إبراهيم رماني، أوراق في النقد الأدبي، دار الشهاب، باتنة، ط1، 1965.
2. أبو القاسم ، أغاني الحياة، دار الكتب الشرقية، القاهرة، ط1، 1955.
3. أبو القاسم الشابي، ديوان أغاني الحياة ، الدار التونسية للنشر، 1970.
4. أبو القاسم، محمد بدري، الشاعران المتشابهان – الشابي، و التيجاني – دار المعارف القاهرة (959) .
5. الأزهري ابي منصور محمد بن أحمد، تهذيب اللغة، ج13، الدار المصرية للتأليف و الترجمة، مصر، د ت.
6. أمينة التجاري، جماليات الرمز الصوفي الجزائري،"خمرية أبي مدين شعيب نموذجا"، مطبعة مزوار، الوادي، ط1، 2003.
7. إيليا الحاوي، في النقد و الأدب، ط2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1986.
8. بسج أحمد حسن، ديوان أبو القاسم الشابي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1995.
9. بن قنية عمر، الأدب العربي الحديث، دار الأمة، الجزائر، ط1، 2003، ص 173.

10. بن يحي عباس، مسار الشعر العربي الحديث و المعاصر، دار الهدى، عين مليلة، (د.ط)،(د.ت).
11. تشارلز تشادويك، الرمزية، ترجمة نسيم إبراهيم يوسف، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1992.
12. جوهر عبادة و سعاد برشوي، دلالة الرمز في رواية حائط المبكي لعز الدين جلاوجي.
13. حطيط كاظم، دراسات في الأدب العربي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، (د.ط)، (د.ت).
14. خليل إبراهيم، مدخل لدراسة الشعر العربي الحديث، دار المسيرة، عمان ط1، 2003.
15. الخير هاني، أبو القاسم الشابي شاعر الحياة و الخلود، دار فليتس، الجزائر، (د.ط)، (د.ت).
16. رماني ابراهيم، الغموض في الشعر العربي الحديث، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،(د.ط)، (د.ت).
17. السبيل عبد العزيز، الأدب العربي الحديث، النادي الأدبي الثقافي، جدة، ط 1، 2002.
18. السراج الطوسي، اللمع في التصوف، تح:عبد الحليم محمود و طه عبد الباقي سرور، دار الكتب الحديثة، مصر،(د ط)، 1960.
19. طراد الكبيسي الشعر و الرسم، رؤية طوبولوجية - من بحوث مهرجان المربد الحادي عشر.
20. عاطف جودة نصر، الرمز الشعري عند الصوفية.
21. عبد الحكيم حسان، التصوف في الشعر العربي نشأته و تطوره، مكتبة الأدباء، القاهرة، د ط، د ت.
22. علي عشري زايد، استدعاء الشخصيات التاريخية التراثية في الشعر العربي المعاصر، دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع، القاهرة، 2006.

23. علي عشري زايد، استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، دار الفكر العربي، القاهر ة.
24. عمر أحمد المختار، اللغة واللون ، عالم الكتب ، القاهرة ، مصر، ط2 ، 1997.
25. عمر الدقاق و آخرون، تطور الشعر الحديث و المعاصر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، د ط، د ت.
26. الفاخوري حنا، الجامع في تاريخ الأدب العربي، دار الجيل، بيروت، ط1، 1986.
27. فروخ عمر، الشابي شاعر الحب و الحياة، دار العلم للملايين، بيروت، (د.ط)،(د.ت).
28. كحوال محفوظ، المذاهب الأدبية، نوميديا للطباعة و النشر و التوزيع، قسنطينة،(د.ط)، (د.ت).
29. كعوان محمد ، تأويل و خطاب الرمز، دار بهاء الدين، الجزائر، ط1، 2009.
30. مجيد طراد، ديوان أبي القاسم الشابي و رسله، دار الكتاب العربي، تونس، ط2، 1994.
31. محمد الفاضل بن عاشور، الحركة الأدبية و الفكرية في تونس، ط3، الدار التونسية للنشر، ب ت.
32. محمد فتوح أحمد، الرمز و الرمزية في الشعر العربي المعاصر، دار المعارف، مصر، ط3، 1984.
33. محمد كعوان، التأويل و خطاب الرمز قراءة في الخطاب الشعري الصوفي العربي المعاصر.
34. محمد يعيش، شعرية الخطاب الصوفي"الرمز الخمري عند ابن الفارض نموذجا"، منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية، سايس فاس، (د ط)، 2003.
35. مسعد بن عيد العطوي، الرمز في الشعر السعودي، ط1، مكتبة التوبة، الرياض.
36. مصطفى السعدني، البنيات الأسلوبية في لغة الشعر العربي الحديث، مطابع رواى، الاسكندرية،(د ط)،(د ت).

37. مصطفى ناصف، الصورة الأدبية، دار الأندلس للطباعة و النشر، بيروت، لبنان، ط3، 1983.
38. نسيمة بوصلاح، تجلي الرمز في الشعر الجزائري المعاصر.
39. هاني نصر الله، البروج الرمزية، دراسة في رموز السياب الشخصية و الخاصة، عالم الكتب الحديث للنشر و التوزيع، ط1، 2006.
40. الولي محمد، الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي و النقدي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1990.
41. اليافي نعيم، تطور الصورة الفنية في الشعر العربي الحديث، اتحاد الكتّاب العرب، دمشق، سوريا، 1983.

المجلات:

1. البيطار محمد شفيق، صورة الطبيعة في شعر الشابي، مجلة دمشق العدد 3+4، 2008، المجلد 24.
1.رستم رقية، ملامح المقاومة في شعر أبي القاسم الشابي، مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها، العدد 4 ، 2011.
2.عبد الرحمان القعود، الإبهام في شعر الحداثة، عالم المعرفة، العدد 279، الكويت، 2002.

الرسائل الجامعية:

2. السحمدي بركاتي، الرمز التاريخي و دلالته في الشعر عز الدين ميهوبي، (اشراف)، معمر حجيج، 2009، جامعة العقيد الحاج لخضر، باتنة، مخطوط رسالة ماجستير.

فهرس المحتويات

الفهرس

شكر و عرفان

إهداء

مقدمة .....أ

الفصل الأول: الرمزية الغربية

تمهيد..... 06

مفهوم الرمز.....08

لغة.....08

اصطلاحا.....09

أنواع الرمز.....12

الرمز التاريخي.....13

الرمز الأسطوري..... 14

الرمز الديني.....15

الرمز الصوفي 16

خصائص الرمز.....18

الإيحائية.....18

الغموض.....18

الانفعالية.....19

الموسيقى.....20

الفصل الثاني :تأثر العرب بالرمزية الغربية

تمهيد..... 23

نبذة عن حياة الشاعر"أبي القاسم الشابي".....26

أغراضه الشعرية 28

ديوانـه.....30

توظيف الرمز عند أبو القاسم الشابي.....32

الخاتمة 55

قائمة المصادر و المراجع

الملخص :

من خلال هذه الدراسة الموسومة بـ "أثر الرمزية الغربية في الشعر العربي" و التي سلطت الضوء فيها على كيفية توظيف الرمز و تطور و تغير القصيدة العربية و التلاعب بها و جعلها في طابع فني جديد لا يخلو من الإشارة و الإيحاء و جمال و رونق العبارات.

و هذا ما قام به "أبو القاسم الشابي" في ديوانه "أغاني الحياة" من توظيف للرموز و كتابة شعره باللّغة الإيحائية التي ساهمت في التعبير و إيصال ما يقصد به الشاعر و جذب انتباه القارىء عن طريق تفكيك تلك الرموز الموحية و الدالة على ما يعبر به الشاعر.

و لقد تمكن شاعرنا العربي في استعماله للرمز و هذا ما كان له دور في بناء القصيدة العربية و ذلك بتوظيفه لعدة رموز مختلفة : الأسطورة، الطبيعة، الموت، الوطن، المرأة... و هذا ما جعله يضع بصمته في التاريخ رغم صغر سنه و عدم فقدانه للأمل بسبب صراعه مع الموت.

الكلمات المفتاحية :

الرمزية / الرمز / الإشارة /الإيحاء / الدلالة .

ملخص بالانجليزية

Through this study marked "The Impact of Western Symbolism on Arab Poetry", which highlighted how the symbol is employed, evolved, changed, manipulated and made into a new artistic character without reference, suggestion, beauty and rang phrases.

This is what Abu al-Qasim al-Shabi did in his book "Songs of Life" from employing symbols and writing his poetry in suggestive language that contributed to the expression and communicating what the poet meant and attracting the attention of the reader by dismantling those symbols and indicative of what the poet expresses.

Our Arab poet was able to use it as a symbol and that was what played a role in building the Arabic poem by employing it for several different symbols: myth, nature, death, homeland, women... That's what made him make his mark on history despite his young age and not losing hope because of his struggle with death.

Keywords:

Symbolism/Symbol/Reference/Area/Indication